أنساق حجاجية في نصوص من أسطورة الأدب الرفيع لعلي الوردي

مقاربة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج

Pilgrimage patterns in texts from the legend of high literature by Ali Al-Wardi

An analytical approach in light of Al-Hajjaj's theory

أد. نعمان عبد الحميد بوقرة [1]*،أ. فاطمة بنت محمد علي الحلواني [2]

[1] قسم اللغة العربية ، الكلية الجامعية بالقنفذة، جامعة أم القرى :nabouguerra@uqu.edu.sa

[2] قسم اللغة العربية ، فرع الطالبات، الكلية الجامعية بالقنفذة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية

fatimah661212@gmail.com:

تاريخ الإرسال: 2023/ 10/30	تاريخ القبول:25 /2023/12	تاريخ النشر:26 /2023/12

الملخص

يتصدى البحث إلى تحليل خطة القول الحجاجي التي اختارها علي الوردي في مقالاته ذات البعد الثقافي و الاجتماعي ،التي تهدف إلى تجديد الفكر العربي و الإسلامي، وقد بات من المعلوم اعتناء نظرية الحجاج التي صاغها **بريلمان** و **تيتكا** و**تولمين** وغيرهم بتحليل الأطر الحجاجية التي تنهض عليها أشكال نصّية عديدة ، وهو الأمر الذي عنينا بتبيان حدوده واستثمار أدواته المنهجية لاكتشاف الوسائل و الروابط التي يقوم عليها التحاجج في أدب المقال عند **علي الوردي**، وإبراز السلالم الحجاجية وأسلوب المفارقة كإستراتيجية تلميحية تهدف إلى إنشاء فعل كلامي حجاجي صريح طورا ومضمر طورا آخر.

الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب الحجاجي- الروابط الحجاجية- برليمان – نظرية الحجاج- إستراتيجية تلميحية- فعل كلامي.

Summary

The research addresses the analysis of the argumentative statement plan chosen by Ali al-Wardi in his articles with a cultural and social dimension, which aims to renew Arab and Islamic thought. It has become known that the argumentative theory formulated by **Perelman, Titka, Toulmin** and others is concerned with analyzing the argumentative frameworks that advance It has many textual forms, which is what we were concerned with clarifying its limits

* المؤلف المراسل

and investing in its methodological tools to discover the means and links upon which argumentation is based in the essay literature according to **Ali al-Wardi**, and to highlight the argumentative ladders and the method of paradox as an allusive strategy aimed at creating an argumentative speech act that is explicit in one phase and implicit in the other.

Keywords: analysis of argumentative discourse - argumentative links - parliament - argumentation theory - allusive strategy - speech act.

توطئة

يمثل الحِجَاج مجالًا من مجالات النشاط اللغوي التفاعلي الذي شدَّ إليه الأنظار على مَرِّ الأيام، منذ بلاغات القدماء الذين جعلوا منه الأساسَ ذاتَهُ للعلاقات الاجتماعية، في ضوء حركة الخطابة الكلاسيكية عند اليونانيين ثم العرب ،حيث تشكلت من خلال فعل التحاجج أشكال خطابية عديدة تتقدَّمُها الخَطابةُ، والمُساجَلَةُ، والمناظرةُ، والمنافرةُ ، وظلت هذه الأشكال الخُطَبية فاعلة في السّلم و الحرب، وغدت في العصر الحديث مطية يركبها الساسة و الدعاة و المربون والمصلحون الاجتماعيون ،وكل من رام التوجه برؤيته الفلسفية أو الإيديولوجية نحو الجمهور يبتغي التأثير في قناعاته ،وسلوكه الاجتماعي وتوجيه رؤيته للعالم.

لقد أصبح التّحاجج من حيث هو عمل لغوي موضوعًا أساسيًّا يرتكز عليه الفعل التبليغي بشتَّى صوره، ووسائطه في عصرنا الراهن؛ و بسَبَبِ ذلك مثَّلَ موضوعُ الحِجَاجِ ركيزةً تتأسَّسُ عليها مفاهيمٌ لغويةٌ وبلاغيةٌ وتواصليةٌ عديدةٌ متداخلةٌ بين مجالاتٍ علميَّةٍ عديدة؛ إنسانيَّةٍ، واجتماعيَّة و عرفانية (شارودو ،2009،ص6) ، تؤطرها نظرية عامة تعرف بنظرية الحجاج التي تتنزل ضمن رؤية تداولية عامة تمثلها البلاغة الجديدة(Moeschler ,1996,p46) ،وهي قائمة على نظريات فرعية بخلفيات معرفية مختلفة، تشترك جميعها في موضوع واحد ،وهو كيفية الكشف عن مكونات الفعل الحجاجي في النصوص و الخطابات التي ينشئها أصحابها للتأثير في الجمهور من خلال اتباعهم لخطة قولية تضمن ذلك، واختيارهم لوسائل و روابط حجاجية(Relation argumentative)(Ducrot ,Schaeffer,1995,p562) ذات بنية لسانية(تحقق لهم فعل التحاجج. وبناء عليه يُعَدُّ تحليلُ الخطابِ الحِجَاجِيّ مدخلًا ضروريًّا لمقاربة النصوص والخطابات التي يهيمن عليها غرض الحجاج، فيكون موضوعها التأثير و الاستمالة ،الأمر الذي سيسمح في إطار التحليل بتفكيك بنيتها الحجاجية ، والوصول إلى الأطروحة المركزية التي يتأسس عليها القول، ،فقد تكون إستراتيجية الحجاج تلميحية في تلك الخطابات التي يتوارى فيها الحِجَاجُ ضمنيًّا وراء أفعال أخرى يغلب عليها الوصف أو السرد أو الحوار، مثل: المسرحية ،والقصة، والرواية، والشعر، وجنس المقال بشتى أنواعه، فالمقاربة الحجاجية تنطلق من فرضية عامة مفادها حضور القيمة الحجاجية في كلّ نوع نصي أو جنس خطابي ،ولو كان بالدرجة الصفر، فالشاعر الذي يتغنى بوصف الراحلة أو المكان أو الطبيعة ،يضمر دفاعا عن أطروحة تمثل رؤيته ومواقفه باختيارات جمالية قائمة على التخييل و الإيقاع، تحمل المتلقي على الاستجابة المشروطة بإظهار الميل النفسي، وهو ميل سرعان ما يتحول إلى اعجاب وارتياح وتفضيل يجد له تأثيرا في بناء التصورات الذهنية و الآراء .

أهمية الدراسة

غني عن البيان أن نؤكد أهمية البحث في نظام الحجة من خلال تأويل النصوص و الخطابات الكثيرة ، فاللغة في التواصل و الاستعمال مزدحمة بالحجج، وما ذاك إلاّ رجع صدى لحجية الكون بوصفه علامة ، كما تفسرها مقالة **الجاحظ** الشهيرة " **العالم الصغير سليل العالم الكبير** "(الجاحظ،1975، 70/1) ، وتبرز أهمية الموضوع عموما ، من خلال أهمية الرؤى الفكريَّةً التي تطرحها مقالات **الوردي** في كتابة الآنف الذكر ،الأمر الذي يدفع نحو استكشاف بناها وأغراضها وأدواتها الحِجَاجية وإستراتيجياتها المعتمدة .

إشكالية البحث وأسئلته

تطرح إشكاليةُ البحث جُملةً من التساؤلات أهمُّها: أ-ما طبيعة الأنساق اللغوية الحِجَاجية التي تُنشِئُها مقالاتُ **علي الوردي** من الوجهة الحِجَاجية بوصفها خطابًا حِجَاجيًّا؟ ب-ما أهم الوسائل والأدوات الحِجَاجية التي تضمنتها هذه المقالات؟ ج- و ما أنواع الحُجَجِ التي استخدمت ؟ وكيف رتبت من الناحية الشكلية؟،ود- ما أهمية هذه الاختيارات في تمييز الإستراتيجية الحجاجية التي اتبعها المحاجج للوصول إلى جمهوره؟ ،وهل يمكن الحديث أداة أو وسيلة حجاجية تسم أسلوبه الحواري؟

حدود البحث، ومنهجه

يقتصر التحليل على بعض المقالات المختارة من كتاب **"أسطورة الأدب الرفيع"** ، وهي تحديدا النصوص المحشورة بين المقالةِ الثانية عشرة إلى المقالةِ الحاديةِ والعشرين. وقد اتبعنا منهجا وصفيا تحليليا ينطلق من مقاربة نصية تستعير تصوراتها النظرية من نظريات الحجاج و التداولية اللسانية واللسانيات النصية ، فتحليل النصوص يحتاج دوما مقاربة تشاركية بين أنظار مختلفة تحقق السمة البينية في تحليل الخطاب.

الدراسات السابقة

الحقيقة أننا لم نظفر بأيّة دراسةٍ سابقةٍ عُنيَتْ بتحليل نصوص الوردي تحليلا حجاجيا مباشرا كالذي نروم القيام به ، إلا أنَّ ثمةَ بحوثًا عديدةً مشابهةً ،أمكنت الإفادةُ منها نظريًّا ومنهجيًّا لمقاربة هذه النصوص، ولعل أهمها:

1- سامية الدريدي. (2008). بعنوان: **"الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه" وهي رسالة جامعية منشورة** في عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، وقد تناولت صاحبتها فعل الحجاج في الممارسة الشعرية ، في ضوء منوال الشعر القديم ،معتنية بتبيان نسق التقنيات التي يعتمدها الشاعر القديم ليحتج لرأي ،أو ليدحض فكرة ؛محاولاً إقناع المتلقي بما يبسطه، أو يحمله على الإذعان لما يعرضه ،وهو أمر قاد المؤلفة إلى دراسة بنية الحجاج من ناحية وأساليبه من ناحية ثانية، ونود أن نلفت الأنظار إلى أن هذه الدراسة قد أضحت بحثا تأسيسيا تعتمده كثير من الكتابات العربية المعاصرة في ميدان تطبيقات نظرية الحجاج.

2- محمد عطا الله. (2012) "**توظيف الروابط الحِجَاجية في مقالات محمد البشير الإبراهيمي: دراسة تحليلية للرابط الحِجَاجي**"، بحث منشور، في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر. حيث سعى البحث إلى تحليل الروابط الحِجَاجية في النصوص المعينة، و تبيان خطة القول الحجاجي فيها ، من خلال عرض أهم الحجج،وتصنيفها ،

وإظهار كفايتها الحجاجية للتأثير في المتلقي ، ولعل هذه البحث يلتقي مع بحثنا في طبيعة المدونة ،فكلاهما يشتغل على جنس نصي ، له سماته الشكلية المائزة ، ونعني بذلك جنس المقال بتعددية موضوعاته ، وأسطورة الأدب الرفيع نسق مقالي ،متعدد الموضوعات ، يشبه تعدد مقالات الإبراهيمي شكلا وموضوعا ،واندراجهما معها في همّ حضاري واحد ، يسعى لتجديد الفكر العربي الإسلامي ، وإن كان لكل منهما طريقته ، ورؤيته وأسلوبه .

الإطار النظري.

إنَّ الحِجَاج اللغوي في أساسياته اتَّخَذَ من الإقناع سبيلًا له في تحقيق غايات الكلام، وكان الإقناع مطيَّةَ الخطاب في كل النقاشات اللسانية وما تخللها من حوارات، ومثّل الإقناع آليَّةً تجسد الوسيلة الصحيحة في بيان مقاصد العلوم، وما تحمله من آراء وأفكار، ولقد طبَّقَ الجاحظ (ت255ه) في "**البيان والتبيين**" الحِجَاج عندما تحدث عن خصائص ينبغي أن يتميز بها الخطيب، وهي خُلُقيَّةٌ وخَلْقيَّة، ولها آثارها على فاعلية الخطاب وتوصيله إلى المتلقين، وكذلك صرَّح ابن خلدون (808ه) في كتابة "المقدمة" المشهور بضرورة استخدام الحِجَاج بوصفِهِ من آليات الإقناع التي بمقدورها تحقيق الأهداف والمقاصد، التي يكثر استخدامها في المحاورات والمناظرات(الشهري ،ص447-449) و (الباهي ، 2004، ص11)

يُعَدُّ الحِجَاجُ من الموضوعات المتشعبة؛ لتعدد النظريات التي اهتمت به وفسرته، وهو موضوع بحثي قديم منذ ظهور محاورات أفلاطون وأرسطو ونقاشات الرواقيين وكل أنواع الجدل و الحوار المتعالم حتى عصرنا الحالي(Caraudeau,Maingueneau,p65)، فكل نظرية لها إطارها المرجعي الخاص بها، فتنوعت الأصول بين لساني وفلسفي ومنطقي وجامع لكل هذه الاتجاهات، فكل نظرية أعطت الحِجَاجَ مفهومًا خاصًا به، وتُعَدُّ مدرسة بلجيكيا اللغوية المؤسِّسةَ للحِجَاج المعاصر، إذ اهتمت بالبحث الحِجَاجي القانوني وفقًا لما قدَّمه **برلمان** الذي أَلَّفَ بمعية **تيتيكا** عام 1958م كتابًا يحمل عنوان:" **الخطابة الجديدة**"(أبا سيدي ،2014، ص22) و (الناجح ، 2015،ص166) ، كما نذكّر بأعمال المدرسة اللغوية الإنجليزية و أطروحات **تولمين**، التي عرضت عام 1959م في مصنفه الموسوم بـ: "استعمالات الحجة" (طروس ، 2005، ص8 -10).

لقد ركزت البحوث الحديثة على ضرورة رجوع البحث الحِجَاجي إلى الفلسفة، وذلك من خلال أعمال نشرها "**أرن نايس**" في إنجلترا عام 1953م، و من جهة أخرى دعمت التداوليةُ الدرسَ الحِجَاجيَّ من خلال ما قدَّمه **أوستن وسيرل** فيما يتعلق بنظرية الأفعال الكلامية(براكوبس ،2022، ص28)، وما قدَّمَهُ **غرايس** في منطق اللسانيات التواصلية(لونجلي وسرفاتي ، 2020 ، ص276)، وتتجلى علاقات النص الحِجَاجي بعلاقات موجودة بداخله تختلف عمَّا هو موجود في النصوص الأخرى، ويخرج ذلك النص على ما هو عليه، وتحكم علاقات النص الحِجَاجي معطياتٌ تختص به وتتحكم فيه، فترجع إلى المتكلم والمتلقي وأهداف الخطاب ومقاصده(الدريدي ،2008، ص317) ، فكلّ نص له خصوصيته في سياق تحليل الخطاب، فالنص الشعري -مثلا-يقوم على فن التلميح بدلًا من فن التصريح، ويُبنى على فن الإيجاز بدلًا من الاستطراد، ويرتكز على التمثيل والتصوير الجمالي وفنون الإثارة، فالشعر خطابٌ تبليغيٌّ يحمل جماليات بلاغية، ويخاطب العاطفة قبل العقل، و قد لا يهدف إلى تحقيق الإقناع عند المتلقي ولا يسعى إليه مباشرة، بقدر ما يهدف إلى تحقيق إذعان المتلقي لما جاء به الخطاب دونما تحقيق الإقناع الحقيقي، فهو يعتمد على التمويه والمغالطة في الغالب(الدريدي، 2009،ص6).

يحتاج تحليل الحِجَاج إلى تفكير عميق في سمات النص الحِجَاجي، وهي كثيرة، ومن أبرز ما أجمع عليه دارسو الحِجَاج مما ينبغي التركيز عليه وصفا وتفسيرا:

1- التناغم والانسجام:

يتسم النص الحِجَاجي بأنه نسق منسجم ومتناغم بين مكوناته الكبرى التي تبيّنُ التفاصيل والدقائق، فلا يمكن أن يكون النص ملفوظا متنافرًا ومتناقضًا بين مقدماته ونتائجه وبداياته ونهاياته ومعطياته النفسية التي يتضمنها، أو بين الدلالات والتصورات الجمالية؛ لأنه إذا كان بتلك الصفة فإنَّهُ يسهم في تقويض الحِجَاج، ويقضي على كل أمل لتحقيق الإقناع، أو تحقيق إذعان المتلقي ، أو مجرد ميله للأطروحة المعبر عنها.

2- الحِياد

إن الحِجَاج إذا أنكر ذاته يكون ذا تأثير قوي وناجع، فإذا كان هدفُ النص وغايته الإقناع أو الحمل على الإذعان للأطروحة دونما تحقق للإقناع، فإنه يُقدِّمُ الحِجَاج ذاته بوصفه نصا محايدا لا يستعرض إلَّا الحقيقة، ولا يقوم بفرض موقف أو فكرة، وفي هذا المجال تبرز صفة خطيرة تتمثل في ميل الخطاب الحِجَاجي للخداع والمخاتلة، فعادةً ما يلتبس المحتج لموقف بالمحلل العتيد أو الحديث الموضوعي(الدريدي ، 2009،ص6).

3- **القصد المعلن**

المقصود به البحثُ عن إحداث تأثيرٍ مَّا في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يسميه طه عبدالرحمن بالإقناعية، التي عدها من شروط التداول اللغوي فيقول: "فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تُدْرَجُ على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلًا استدلالية متنوعة، تجُرُّ الغيرَ جرًّا إلى الاقتناع برأي المحاور"(عبد الرحمن،طه ،2000،ص38).

3- الاستدلال

هو تطور سياق النص المنطقي الذي يقوم على البرهنة، فهو مبني وفق بناء محدد تتماسك العناصر فيه انطلاقًا من نسق تفاعلي، يسعى إلى هدف مشترك، ومحور هذا التنظيم اللغوي هو لساني في أصله، فالنص الحِجَاجي هو ترتيبٌ منطقيٌّ لمجمل العناصر اللغوية، يتفاعل مع الإقناع بموقف أو فكرة ،لكنَّ أسلوب الحِجَاجِ يختلفُ عن الاستدلال؛ لأن الحِجَاج أسلوب يتجه نحو مخاطبة العقل وأدواته العقلانية إعمالًا للحواس والإدراك والحدس، وليس بحثًا عن الحقيقة المطلقة التي دافع عنها أفلاطون، أو الحقيقة العقلية التي تغنى بها ديكارت، بل سعيًا إلى الإقناع والتدليل على الممكن الذي أعلن أرسطو عن ميلاده في القرن الخامس قبل الميلاد(عشير ، 2007، ص19-20).

4- السُّلَّمُ الحِجَاجي(Echelles argumentatives)

إنّ العلاقة المجازية الحاصلة بين الدعوى والحجة تصبح علاقة شبه منطقية لحد كبير، فهي تتجسد بطبيعة الحال عبر الأدوات اللغوية، ويكون عمق فعل الحِجَاج في تفاعل الحجج وتدافعها وترتبها بحسب القوة التي تمتلكها، وفي الغالب لا يتم إثبات إلَّا الحجة التي تفرض نفسها على أنها من أقوى الحجج استعمالًا في السياق، فيسعى المتكلم إلى ترتيب

الحجج التي يراها تتصف بالقوة اللازمة التي تدعم دعوته، ويُعرَفُ هذا الترتيب بمصطلح السُّلَّمِ الحِجَاجي(الشهري ،2004، ص499). والحُجَجُ، على اختلافها -بحسب ديكرو - تسير وفق نمط ترتيبي محدد يكون متسلسلًا في الدرجة، فالاختيار والحكم بناءً على المعنى مؤسَّسٌ ليس على الكذب أو الصدق، وإنما على درجة القوة(الطلبة ،2008، ص194) (Ducrot ,Schaeffer,1995,p539). وفي سياق ذلك يُمثِّلُ السُّلَّمُ الحِجَاجيُّ مجموعةً غير فارغة من الأقوال والتعابير مزودة بعلاقة ترتيبية، تُستوفَى من خلال شرطين، فالأول: أن كل قول يقع في مرتبةٍ مَّا من السُّلّمِ يلزم عنه ما يقع تحته؛ بحيثُ تلزم عن القول والتعبير الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه. والثاني: كل قول وتعبير كان في السُّلَّمِ دليلًا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى عليه(طه ،2000، ص500).وبناء عليه يطرح السُّلَّمَ الحِجَاجيَّ تصورًا حول طبيعة علمية المحاججة، وذلك فيما يتعلق بتلازم قول الحجة والنتيجة، ويعكس التلازم تعدد الحجج مقابل النتيجة الواحدة، فهناك تفاوت في قوة بناء الحجج واستعمالاتها في الخطاب.

5- تقنيات الحِجَاج

يشتمل الخطاب على درجات من السلالم الحِجَاجية، وهي تكون موجودةً بِنِسَبٍ تتفاوت بحسب كل جنس تعبيري، ويستخدمها المتكلم لكي يفرض نسقًا من المحاججة؛ لتوحيد المشاركة في عملية التلفظ إلى دائرة محددة؛ بُغيَةَ تطبيق المقاصد وتحقيق الأهداف من الخطاب، فيقوم المتكلم من أجل إدراك هدفه ببناء خطابه على أساس تخطيطٍ حِجَاجيٍّ يتنظم من خلاله بناء الخطاب، وتصبح عملية الإقناع هادفةً وذاتَ توجيهٍ تفاعليٍّ لأبنية نصوص الخطاب التداولية واللسانية. وقد وضح ديكرو هذه الروابط الحِجَاجية التي تتدخل مباشرة في توجيه الحِجَاج وفقًا للوجهة التي يقصدها منشئ الخطاب ،و لعلها تتجلى في مجمل العناصر اللغوية التي تقوم بوظيفة مهمة في انسجام النص واتّساق أجزائه(بلخير، 2009، ص173). وعلى صعيد آخر تنقسم الطرائق الحِجَاجية إلى قسمينِ هما: طرائق الوصل، وطرائق الفصل، أما الأولى فتتمثل في كونها تقترب من العناصر المختلفة منذ بدايتها وفي أصلها، فهي تتيح نسج علاقة تضامنية بين العناصر المختلفة؛ لغاية هيكلتها في الخطاب، أو من أجل تقويم عنصر من العناصر بالاحتكام للعنصر الآخر، ونتيجة هذا التقويم إما إيجابية أو سلبية، وتتفرع طرائق الوصل إلى أنواع؛ فمنها الحُجَجُ شبه المنطقية، وترتكز على البنى المنطقية. ومنها الحُجَجُ شبه المنطقية، وترتكز على العلاقات الرياضية. ومنها الحُجَجُ المؤسسة على بنية الواقع. ومنها لحُجَجُ المؤسسة لبنية الواقع(صولة، 1998،ص 334). و أمّا طرائق الفصل فهي تقنيات تستخدم لتحقيق القطيعة، وفك التلاحم بين عناصر يتم تشكيلها كُلًّا واحدًا لا يتجزأ، أو تكون كلًا متضامنًا عبر أجزائه وفق نظام من التفكير موحد .و تقع طرائق الفصل في العناصر المتماسكة التي تمثل كُلًّا واحدًا، فيتم تفرقتها لأهداف حِجَاجية من خلال استخدام عناصر الربط والعطف والوصل والجملة الاعتراضية في الخطاب الحِجَاجي، التي تحمل أفكارًا محددةً مؤكدةً أو ناقصةً لما يكون قبلها أو ما يكون بعدها، ويوجد ذلك بكثرة في التعريفات والحدود، ويتحقق الفصل عبر التمييز بين الحقيقي والظاهر أو شبيه كذا، نحو شبه علمي أو من خلال بغير كذا أو اللاكذا، أو عبر جمل اعتراضية أو ببعض الأفعال من تجاهٍ يتوهم أو يضع جملة توضيحية أو معترضة بين قوسين، أو يزعم(بلخير،2009 ، ص162) و(طلبة 2008،ص132).هذا و تؤدي وسائل لغوية ومنطقية متنوعة وظيفةً حِجَاجيةً في الخطاب عموما؛ حيث توظف نصيا لاستمالة المتلقي ،وحثه على تقبل الأطروحة المنشودة ،والإذعان لها، وبالطبع تختلف الوسائل اللغوية و المنطقية من نصٍّ إلى آخر، من حيث النوع و كيفية الإجراء، ويرتبط ذلك بطبيعة مضمون الرسالة المُراد توصيلها ،والتعبير عن فحواها. ويشير استخدام الوسائل المنطقية و اللغوية في النصوص إلى طبيعة الحِجَاج الذي لا يُقصَدُ به "حشدُ الحُجَجِ

واستحضارُها، وربطُ مفاصل الكلام، وتعليقُ بعضِهِ على بعض فحسب"(الدريدي، 2007، ص88) ، وإنّما هو جملة من الاختيارات الأسلوبية واللسانية في مستوى التركيب وصيغ الكلمات ،وأزمنة الأفعال، ومصادر التصوير، وأنواع الصور المستعملة التي تتناسب مع أهداف الخطاب، وتراعي علاقة المتكلم بالمتلقي، وتتلاءم مع وضع المتلقي ومقتضيات السياق، ويبيّنُ ذلك طبيعة اللغة ووظيفتها الحجاجية في تحقيق الإقناع؛ بوصفها وسيلةً لفرض السلطة الفكرية والهيمنة على الآخرين، وذلك "باستدراجهم إلى الدعوى المعبر عنها"(العبد، د ت، ص 710) ، وتأكيد مصداقيتها، ويمثل ذلك عامِلَ تأثيرٍ وجذبٍ، خصوصًا عندما تكون اللغة المستعملة خاليةً من الصَّنعةِ والتكلُّف. وفي ضوء هذا السياق نروم تقديم قراءة تحليلية لمدونة ذات طبيعة حجاجية، تمثلها نصوص من كتاب " **أسطورة الأدب الرفيع**" لعلي الوردي، لعلنا نستقرئ أنماط الحجاج، ومسالكه اللغوية و القضوية، ووسائله وأدواته التي تحدد إستراتيجية القول ،ونسق الحجج المعروضة.

ثانيا- الإطار التطبيقي

يركز المستوى التطبيقي على تحليل الظواهر الآتية ،قصد تبيان كيفية عملها :

1-ظواهر لغوية ذات وظيفة حجاجية

لعل من أهم الوسائل اللغوية التي ينجز بها الحجاج في الخطاب التكرار ،حيث يضبط مسلك الإقناع بتكرار الحجة للانتصار لصالح سلامة الأطروحة التي يقدمها المحاجج في قضيةٍ مَّا، ويزيد التكرار في إقناع المتلقي، والتأثير في سلوكه اللغوي و المعرفي، وفهمه المقصود من الكلام، وكلما ترسخت الحجة بقرائنها المقالية و الحالية؛ رسخت الأفكار وثبتت في الذهن(الدريدي،2007،ص 168) ،ولعل من نماذج الأنساق المكررة في نصوص **الوردي** ما ورد في المقطع التقريري الآتي: « والذي أعتقده أن الشعر العربي **لا يستطيع** أن يقف في مستوى غيره من حيثُ **المعاني**، إنّه لا يخلو من **المعاني** -طبعًا- كما ذكرنا، ولكنه **لا يستطيع** أن يجري وراءها طليقًا كغيره، وهل في قدرة الشاعر العربي أن يحلق في الخيال كالطير، بينما هو مثقل بأعباء الوزنِ، والقافيةِ، والإعراب، على ذلك النمط المعلوم؟»(الوردي،2000، ص88).وكما نلاحظ تكررت لفظة "**المعاني**" في المقطع المختار ،فهي موضوع الحديث، ويصنف هذا النوع بكونه تكرارا تاما وحيد المرجع ،أما تكرار حرف النفي **لا**، والتركيب المنفي" **لا يستطيع** فلتأكيد حتمية الخيار، جريا وراء الأثر التداوليّ الذي يروم تحقيقه من أجل إقناع المتلقي بأولية الفكرة على الشكل الثابت، ومن أمثلة التكرار التام متعدد المرجع هذا المقطع الوصفي« ليس العيب عيبهم، إنّما هو **عيب المجتمع** الذي يعيشون فيه، أو هو **عيب التقاليد** البالية التي ورثها المجتمع من أسلافه البائدين»(الوردي،2000، ص72)، فقد تكررت لفظة عيب بإحالتها على مرجعين مختلفين(المجتمع/التقاليد) لتأكيد الصفة السالبة القاضية برفع الملامة، والغرض من ذلك الاحتجاج على التفكير البائد الذي رهن مواقف الناس، وقيدها.

لقد وظف التكرار في سياق النفي أداة لإنشاء محاججة ناقدة لمذاهب الشعراء وتقاليدهم الأدبية ، ولعل في هذا القول إنشاء لمنبه الأسلوبي يكفل إيقاظ وعي المتلقي واستنفاره، لدرجةٍ يضحي فيها واقِعًا تحت سلطة التأثير الفكري الجديد(فروم ،2009، ص 167) .وعلى صعيد آخر يُظهِرُ التكرارُ الكفاية اللغويَّةَ التي يمتلكها الوردي في مقالاته، بتوظيف مختلف التراكيب اللغوية التي ترتكز في تأثيرها السمعي، ووضوحها على التجانس اللفظي، الذي يولد تفاعلات حِجَاجية تعزز من قوة الخطاب والتأثير في سلوك المتلقين، مع الاهتمام في عرض الآراء وبناء المقالات للدعاوى الحِجَاجيَّةِ التي يقوم بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، ويلبسها إيقاعات بنائية متكررة(العبد، دت ، ص713).و يضمن التكرار- أيضًا- انسجام النص وتماسكه (العزاوي ، 2007، ص48) ؛فبه يتحقق النمو الموضوعاتي للفكرة، من حيث اتجاهها إلى

بنية دلالية واحدة، تشبه الخيط الرفيع الذي يحكم النسيج من الانفلات. و بالإضافة إلى وسيلة التكرار التي تتجاوز وظيفتها الربط إلى إحكام الدلالة الكلية ،والتحول بالخطاب إلى مسلك الحجاج بوصفها وسيلة تزيد في تأكيد المعاني الصريحة ،والدفاع عن القضايا المضمرة ، يمكن تمعين وظيفة **الأدوات اللغوية** الأخرى التي تربط أجزاء الكلام فتجعله موصولا، منسجم الدلالات ، منصهرا في أطروحة مركزية واحدة، ومن ذلك توظيف الكثير من **حروف المعاني** المفيدة للتوكيد و التفصيل و الإضراب و الاستدراك وغير ذلك من المعاني التي تستلزمها الدلالة السياقية للوصول إلى مقاصد الخطاب ،ولنا أن نأخذ المقطع الوصفي التالي شاهدا على وظيفة الواو العاطفة التي تفيد الاشتراك في الفعل: « ونحن نعلم أنّ شعراء العرب تغزلوا بالأنثى في أيام الجاهلية، وفي عهد الراشدين والأمويين، وشطر في عهد العباسيين، وهم لم يبدؤوا بالغزل المذكر إلَّا في أيام المغفور له أبي نواس، أكان ذلك محض مصادفة؟ أم كان له سبب آخر؟(الوردي، ص 73) ، كما لا نغفل عن وظيفة الضمير "هم" الإحالية، والواو المتصلة بالفعل العائدة على مرجع واحد هو الشعراء العرب، كما وظفَّ الضمير "نحن" و "هم" لإنشاء نوع من المفارقة الدلالية بين جهتين أو ذاتين مختلفتين انسجاما مع البنية الحوارية ، واستعمل حروف الجر التي تفيد معنى في غيرها، وحرف النفي "لم" مع الفعل المضارع، وأسلوب الحصر بـ: "إلَّا " المسبوقة بنفي ،وحرف الاستفهام "الهمزة"، فهذه الأدوات وغيرها كثير، يند عن الحصر في هذا المقام الموجز، لها وظفيتها الحجاجية في إنشاء القول الداعم أو الداحض لمقاصد الخطاب المستهدف بالحجاج، ومن ثمة التأثير في موقف الجمهور المتلقي ،بما يضمن تفاعله مع القضية موضوع الاحتجاج.و تساعد الأدوات بأنواعها المختلفة بانتشارها المنضبط سياقيا عبر المساحة النصية في تأدية وظائف حِجَاجية تضفي تفاعلات على النص المعين ودوائر عمله، وما يحمله من أفكار لها أصولها في فهم الخطاب وقناعات منشئه ؛ ليكسب تفاعل المتلقين معها، فالرابط اللغوي بكل ما يؤديه من وظائف لسانية وتواصلية عاملٌ محوري في أداء المعنى ، و مقصدية الخطاب، وتماسك النص الحِجَاجي.

2-ما بين السرد الحجاج

يمثل السرد بوصفه عرضا للتالي الأحداث في الزمان والمكان ، وتعبيرا عن تشابكها و تفاعلها مدخلًا أساسًا في التعبير الوصفي، المحقق للوظيفة الوصفية (Discriptive function)(يان هوانغ ، 2020 ، ص221) ، وهو من الاستراتيجيات الخطابية المهمة التي تجسد بنية النص السردي و أدوات تفاعله مع الواقع، ويتحول السرد إلى وسيلة حجاجية حين يستخدم أداة لإقناع المتلقي ، واستمالته ،أو غوايته بالاحتكام إلى شاهد الأحداث المتسارعة ، فتغدو الواقعة السردية بمشاهدها التفصيلية حجة في ذاتها ،تقوم بغواية المسرود له، وجلب اهتمامه، وتحويل أفق انتظاره، وحمله على التفاعل مع الحدث، والانغماس فيه ليكون جزء منه ،فالسّرد الحجاجي نمط لغوي يتلاعب بالعقول بأسلوب غير مباشر، فيبهرها بما يحكي من وقائع وتفاصيل مثيرة وعجيبة ومتسارعة جدا ، ولعلنا نستكشف ذلك في الأسلوب الذي يحملنا به الوردي للاندماج في عوالمه ، حيث يقول ساردا وواصفا في مطلع مقالته "**الأدب والاجتماع**":« **في مثل هذه الأيام من العام الماضي كنت مشتبكًا في جدال عنيف مع بعض** الأدباء حول نظريات اجتماعية بحتة ،وذلك بعد صدور كتاب "**مهزلة العقل البشري**"، وكان أحد أولئك الأدباء يجادلني حول نظرية **توينبي** في طبيعة الحضارة البشرية، وقد لاحظت أن هذا الأديب لا يعرف عن تلك النظرية شيئًا كثيرًا، ولعله لم يسمع بها قبل أن يقرأها في كتابي، ولكنه كان بالرغم من ذلك يصول ويجول في نقد النظرية، وأخذ يشتمها ويشتمني معها، وأتذكر أني قلتُ له حينذاك:" لا بأس أن ينتقد الكاتب موضوعًا ليس من اختصاصه على شرط أن يعلم عنه شيئًا يخوله ذلك ؛فلا يلقي الكلام فيه جزافًا". فأجابني الأديب قائلًا، بعد حفنة من الشتائم الشخصية:" لقد كان الأدب العربي شديد الصلة بمختلف جوانب المعرفة

منذ عصور بعيدة، على الأقل في فترات الازدهار، وكان الأديب العربي مضطرًا لأن يلم بطرف من كل شيء، وليس الأدب اليوم بأقل صلة بجوانب المعرفة من الأدب أمس، وليس الأديب الحديث بأضيق أفقًا ولا بأشح ثقافة من الأديب فيما مضى»(الوردي،2000 ،ص 49).

وظفَّ الرواي تقنية السرد ضمن وسائله اللغوية، وخطة إنشاء نصّه الحِجَاجي، فيروي للقارئ ما دار من أحداث وحوارات عبر بنية زمنية سالفة لها تفاعلاتها، وحضورها اللافت (شارودو ، 2009،ص13).وكثيرا ما اندمج السرد مع الحوار ،كما ظهر هذا جليا في المقطع السابق ،و تلبية للوظيفة السردية الموجهة للحِجَاج اللغوي تظهر تقنيات سردية معينة كالاستباق والاسترجاع، حيث تتحقق الوظيفة السردية على سرد الأحداث و مآلاتها، لذا يكثر استعمال "كان" التي تستدعي زمنًا ماضيًا ،تسترجع من خلاله الأطروحات والمقالات السالفة،كما توظف جملة " أتذكر" التي تدل على استرجاع ما مضى من الزمن بأحداثه التي تبدو بعيدة ، وما احتفظت الذاكرة إلا بأهمها، ويجسد ذلك حضورًا ذهنيًا للراوي في بناء الخطاب .هذا و يضطلع الراوي بوظيفة السارد العليم في تنظيم أفكاره والأحداث التي يسردها، ويدعم ذلك تفاعلات النص ومكوناته اللغوية، وما تشتمل عليه من غايات وأطروحات تنتج مشاركات وجدانية وتفاعلات نصية لدى المتلقي؛ الأمر الذي يعزز قيم التفاعل والإقناع في بنية النص المنجز، ويودع فيه وجهة نظر المؤلف لنقلها بشكل متماسك، وهو في حالة استحضار ذهني يعلم ويعرف ما يقوله، وما ينقله للطرف الآخر بغية توجيه رأيه وسلوكه .

3- الأشكال البلاغية ر افدا للحجاج

مثلما يؤدي السرد وظيفة حجاجية في النصوص فإنّ الأنواع البلاغية معنية بأسلوب الكلام ونظمه، وتعزيز كفايته التعبيرية و الإقناعية بشكل واضح وموجز؛ فالبلاغة بيان و إيجاز وإقناع بالأساس، وتحقيقها لهذا المبدأ الجوهري منوط بمدى مطابقة المقال للحال في المتعارف، والاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، و تمييز الكلام الفصيح عن غيره(لصعيدي، 1،28/2005) ، كما تحقق البلاغة في حدث التلفظ سمة الجمالية من خلال الإيجاز غير المخلّ والإطناب غير الممل، والاستثمار في الكلام الفصيح القليل الذي لا يدخل السآمة والملل على الذات المستقبلة، بل يجعلها أكثر استقرارا وثباتا في التفاعل مع الدلالة النصية ،وتأويل مقاصدها .ولعل أبرز أدوات البلاغة تأثيرا في المتلقي من جهة الصورة ما تصطنعه **التعابير الاستعارية** من عوالم ممكنة يندمج فيها خيال المتلقي، منبهرا بما يستعار من صفات و أحداث وأحوال على سبيل التمثيل، وفي هذا الإطار تتعدى **الاستعارة الحِجَاجية** أثرها الجمالي لتقوم بوظيفة تأثيرية في سياق الخطاب(لايكوف وجونسون ، 1996 ، ص 21) و(عبد الرحمن ، طه ، 1991 ، ص 70)، مستحدثة تغييرات في الأفكار والمواقف من جهة المخيال الجمعي و المخيلة الفردية ،ذلك إنّ الكلام المتداول لا يمكن أن يكون محببًا إلى النفوس بالنظر والمحاجّة الصارخة ،ولا يُحلّى في الصّدور بالجدال والمقايسة، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقرّبه منها الرّونق والحلاوة، وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا ولا يكون حلوًا مقبولًا، ويكون جيّدًا وثيقًا، وإن لم يكن لطيفًا رشيقًا(الجرجاني ، 1966، ص100) ، فاختيار الكلام الجميل بسلوك مسالك المجاز والتلويح يوجّه رؤية المتلقي، تاركا في نفسه أثرا بليغا ؛ لذا تمثل الاستعارة أبرز أدوات الحِجَاج اللغوي في صورته البيانية والجمالية خصوصا في الشعر، وإذا كانت الاستعارة الشعرية تتملّك السامع أكثر مما ترغمه؛ فإنّ الاستعارة الحِجَاجية في المنثور تكون أكثر قهرًا وتسلطا، وفي هذا السياق تؤدي الأشكال المجازية سلسلة من الوظائف بعضها متعلق بالمتكلم وبعضها الآخر متعلق بالسامع كوظيفة تحريك الخيال ووظيفة تزيين القول وتكثيفه(بوقرة ، ص52-53).

إنّ هذا الوعي البلاغي بالأهمية الحجاجية للاستعارة هو الذي وجّه خطة القول في نصوص " **أسطورة الأدب الرفيع**"، فحال الأدب عند العرب كحال الأساطير اليونانية القديمة بما تشي به من خيال جامح ، وخروج عن اللامعقول ، وثورة على التقاليد، مع مسحة من القداسة المغالية. ولنا أن نمثل ببعض التعابير الاستعارية التي اشتغل بها الخطاب لتحقيق مآربه، ومن أمثلة ذلك ما ورد في هذه الوحدة التمثيلية الآتية :« إنّما هم في عين الوقت كثيرون، إذ هم منتشرون في كل مكان، ولهم الصوت المعلىّ في كل مجلس يرتادونه، ويصح القول إنّهم يتكلمون كثيرًا، وينتجون قليلًا ،وها هم أولاء قد ملأوا الدنيا شغبًا وصخبًا، وجعلوا من أنفسهم نقادًا يصولون بشتائمهم كلّ ميدان، ويهاجمون بها كل من يكرهونه أو يحسدونه»(الوردي ،ص 58).

لقد ازدحمت في هذا الملفوظ تراكيب الاستعارة ،فقد **ملأوا الدنيا بالشغب** كما يملأ الخزان بالماء ، وهم **يصولون بشتائمهم** كالفرسان في ميادين الوغى إلا أن أسلحتهم ليست سيوفا ، وإنما هي شتائم، ومن المجاز العقلي- أيضا- **عين الوقت**، ولعل في هذا التصوير استعارة لجارحة العين من الحي، ونسبتها للزمن(الجرجاني،2001، ص198) ، ويرتبط ذلك بالمشاهد التي يجسدها الوردي في استعارته التي يخاطب بها الفكر والوجدان معًا؛ مما يحفز المتلقي على المباشرة بالفعل وتوجيه الرؤية ، ويظهر ذلك قوة الحِجَاج ؛ لأن الاستعارة تجعل" الغائب مشاهدًا، و الحاضر غائبا، و إظهار المجرد في شكل المحسوس، تقوية لشعور المتلقي بحضور الأشياء ماثلة، من أجل حمله على الاقتناع(صولة ، 2001، ص495) ، فتوظيف الاستعارة في أكثر من موضع إنما كان لتجسيد المعاني المجردة(الدريدي ،2009،ص131)، فالفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز البيان أبدًا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلًا وتوجب له بعد الفضل فضلًا، تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ؛ فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا والأجسام الخرسة مبنية والمعاني الخفية بداية جلية، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون(أسرار البلاغة ،ص40).كما يتعزز البعد الحجاجي بتوظيف **التشبيه** الذي يعدُّ وسيلة بلاغية يوظفها المتكلم من أجل التأثير في المتلقي بإنشاء صورة مشابهة أو مماثلة للحالة المحاجج عنها أو ضدها ،ومن خلال العلاقة بين المشبه والمشبه به تنشأ الصورة المركبة للحجة التمثيلية التي تتخذ مثالا يقاس عليه .

استخدم المحاجج التشبيه والتمثل في مقالاته بشكل لافت؛ ومن أمثلة ذلك قوله: "إن اللغة ركن من أركان القومية العربية الخالصة، فهي الرباط الذي يجعل العرب في شتى أقطارهم يشعرون بأنهم أمة واحدة، ومن الصعب أن يتّحد العرب بعواطفهم وأفكارهم قبل أن تنتشر لغة مبسطة يستطيعون التفاهم بها، والمظنون أن العرب سائرون في هذا السبيل سيرًا حثيثًا رغم أنف المتحذلقين!(الوردي،2000، ص60)،فقد وظفَّ التشبيه البليغ في تصويره للغة بأنها ركن كأركان البيت ودعاماته التي لا يقوم إلا عليها؛ وهي أيضا كالرباط الذي تربط به الأغراض ،فتلزم مكانا واحدا، وغرضه أن يجسد مدى قوة العلاقة الوثيقة التي تقيمها اللغة بين الجماعات والأفراد، ويدعم التشبيه البنية الحِجَاجية للخطاب المطروح ، عند حديثه عن اللغة العربية ودفاعه عنها ،ودحضه للتهم التي يرميها بها الآخرون، يقول المؤلف في سياق الاحتجاج لوظيفة الكتابة وأبعادها: "إن الأديب يكتب للناس لا لنفسه، ومن الضروري له إذن أن يفهم طبيعة هؤلاء الناس الذين يكتب لهم، أمَّا إذا بقي في برجه العاجي يدرس القواعد التي جاء بها الأسلاف قبل ألف سنة، فسوف لا يجد له بين الناس سوقًا، وسيبقى يشتم الناس على نفرتهم من "**الأدب الرفيع**". يمكن تشبيه الأديب القواعدي بذلك العابد الذي يوسوس في صلاته، فهو ينهمك بكلمات الصلاة، وكيف يخرج الحروف من مخارجها، فينسى ربه الذي يصلّي له، ولو أنه أطلق نفسه على سجيتها لكان أقرب إلى الله وأزكى صلاة(الوردي،2000، ص67)،فالصورة التمثيلية ماثلة بوضوح في

صورة العابد الذي يقوم بأداء صلواته ، ولكنه يوسس بها ،وتلك حال الأديب الذي يكتب لنفسه لا للناس. فيتّضح لنا أن التشبيه يقرب المعنى المراد بتصويره في صورة المحسوس، مما يحقق الهدف من تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد(السيوطي، 4،45/1976).

من وسائل البلاغة في مسالكها الحجاجية الوعرة تفننها في ضروب البديع التي تتجاوز مجرد كونها صنعة لفظية تزين الكلام وتوشيه من الخارج ، ليبدو في حلة قشيبة إلى إنشاء المعاني المتعارضة، و إبراز المواقف المتناقضة و الحجج المتقابلة ، وليس أوفر حظا من الطباق و المقابلة لإنجاز هذه المهمة في لغة النص، حيث يمثل الطباقُ محسنًا بديعيًّا، ووسيلةً يبلغ بها المتكلم حجاجه ، فليس مهمة الطباق تزيين اللفظ فحسب، وإنّما له وظيفة حِجَاجية إقناعية، تنجز من خلال الأثر المفارق الذي يحدثه بين الفكرة وضدها، فيتوسّعَ أثرَهُا في نفوس المتلقين ،حتى تبلغ مداها (الشهري ،ص498).

هذا وقد وظَّف الكاتب الطباق في مواضع متفرقة من نصوص الكتاب، إذ يقول: "والغريب أن الكاتب هذا يقول عني أني لا أتحرج من المناداة علنًا باتّخاذ العامية لغة الكتابة، ولما **سألته** كيف جاز له أن ينسب لي رأيًا لم أقل به، **أجاب**: بأني ما دمت أدعو إلى تبسيط اللغة فمعنى ذلك أني أدعو إلى اللغة العامية. لم أجد في جواب هذا الرجل غير السكوت، وقد كتب الله علينا أن نعيش بين أناس لا يختلفون عن هذا الرجل كثيرًا، ولا بد لنا من **السكوت** عندما **ينطقون** أو **لا ينطقون**(الوردي، ص57)، فوقع طباق الإيجاب بين (سألته) و(أجاب) ، كما ورد طباق السلب في قوله (غير السكوت)، (السكوت)، ليحمل دلالة مخالفة: الأولى فيها إنكار، والثانية فيها التزام ، ومن طباق السلب- أيضا- قوله (ينطقون) و(لا ينطقون)، ويحمل ذلك حسًّا جماليًّا يُعزّزُ من قوة الخطاب الحِجَاجي لدى الكاتب .على أن النصوص المعينة تزخر بأمثلة على الطباق بخاصة طباق السلب منه، والغرض منه إنشاء حالات متراكمة من المواقف والأحداث و الحجج المتناقضة، واتخاذ ذلك الممر سبيلا لدى المحاجج ليبث رؤيته بديلا عن سائر الرؤى المتهافتة. ولا يخفى على ذوي النظر الحصيف ما للطباق من أثر في تكثيف الدلالات المتقابلة ،و إثارة الإيقاع الداخل للكلام(فروم ، 2009،ص193).

إنَّ الوسائل البلاغية التي وظفت هي روادف حِجَاجية لها تأثيراتها في إقناع المتلقي، بما تقدمه من تحفيز للجانِبَ المنطقيَّ في المحاججة، مع إنشاء صور جمالية تخاطِبُ الفكر والوجدان معا، وتغري المتلقي؛ فتعملُ على إثارته؛ مما يضمن تفاعله، وإذعانه للأطروحة المطروحة، وهو الأمرُ الذي يوجّهُ سلوكَهُ، ويُغيّرُهُ ؛بناءً على قناعاته التي توصَّل إليها من جمال البلاغة وقدرتها على الإقناع والتأثير.

لقد امتزجت أساليب الإقناع والإمتاع في المقالات المختارة، لما لها من قدرة على التأثير في معتقد المتلقي وتوجيه سلوكه؛ و نظرًا لما ينتج عن الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في ذهن المتلقي فكأنه يراها رأي العين(شهري،2004 ،ص 446). و لعل من مسالك الحجاج المتبعة- أيضا- التعبير عن الأفكار بأسلوب مباشر و واضح من حيث الألفاظ المختارة ، فالفصاحة أن تعمد إلى تخير اللفظ المستعمل ؛فتضعه في موضعه لتحقيق البيان اللغوي ، والذي يعد أساس الحجاج البلاغي.

رابعا- الوسائل المنطقية ووظيفتها الحِجَاجية:

تُمثِّلُ الوسائل المنطقية بنيةَ الحِجَاج و التقنيات اللازمة لعمله (بوقرة ،2015 ، ص153)، إذ تشتمل على التقنيات والآليات التي تخاطب المنطق العقلي، و تُوَظَّفُ هذه التقنيات بحسب غايات المتكلم، وطبيعة الخطاب الذي ينتجه، وتتوافر في مقالات **الوردي** مختلف التقنيات والآليات المنطقية؛ التي من شأنها تقديم الدليل والبرهان الذي يتقبله العقل ببديهياته ، ويقبله المنطق السليم .ولعلنا نسلط الضوء في هذه العجالة على أبرز الحجج المنطقية والأدلة العقلية التي كان لها قدر من التأثير والإقناع، ويمكن بيان الحجج شبه المنطقية القائمة على بنية الواقع، والحجج المؤسِّسة لبنية الواقع، وذلك على النحو الآتي:

1-الحُجَجُ شبهُ المنطقية

من أهم حجج هذا النوع **حجة التقسيم** التي تقوم على تجزئة الكل إلى أجزاء، ويطلق عليها أيضًا حُجَّة التوزيع، وهي حُجَّةٌ شبهُ منطقية تقوم على العلاقات الرياضية، وتتجسد في تصور الكل عند ظانه محمل أجزائه، بمعنى أن المتكلم يذكر حجته بشكل كلي، ثم يعمد إلى إعادتها من خلال الأجزاء التي تتكون منها؛ لكي تزيد قوة الحِجَاجِ في الخطاب، والعملُ على تعزيز حضورها في ذهن المتلقي؛ مما يزيد من الإقناع والتأثير؛ لأنَّ غاية هذا النوع من الحجج تُبنى على البرهنة بوجود مجموعٍ الشيء، ومن ثم تقوية حضوره من خلال التصريح بوجود أجزائه(صولة ، ص331).فالناظر إلى مقالات الوردي يُلاحِظُ توظيف هذه الحجة بشكل متكرر، ومثال ذلك قوله: "وعجيب أمر الأيام، فقد كنت بالأمس ألوم الأدباء على نفس العمل الذي يلومونني عليه اليوم، وصدق من قال: "يوم لك ويوم عليك"، فقد قسَّمَ مساراتِ الحياة و مآلاتِها، فهي يوم لك ويوم عليك، ولا يمكن تصور غير هذين القسمين، فيبرز بذلك مدى فعاليتها بوصف هذا الصنف مقنعًا في ظاهره لصبغته الرياضية الواضحة و المقنعة (الوردي،2000، ص50).

إنّ الاحتجاج بهذا النوع من الحجج شبه المنطقية يدحض عن المتلقي منافِذَ كلِّ حِجَاجٍ مضاد، ويبرز ذلك عمقَ توجهات الوردي وقدرته على مجابهة المتلقي والإحاطة بفكره؛ لكي يُذعِنَ مخاطبه لما يبديه من آراء دونما اعتراض. كما أن وقوع اختيار المتلقي على التقسيم الأول أو الثاني يصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته، وذلك؛ لأنهما تقودان إلى النتيجة نفسها، إلا أنَّ الأجزاء لا تُعبِّرُ في كل الحالات وبدقة عن الكل(الدريدي،ص207)، وتقسيم الكل إلى أجزاء يأتي من باب الإحاطة والشمول بموضوع خطاب مقالات الوردي.

ب. حجج بنية الو اقع

تتجلى بوصفها حُجَجَ اتصالٍ مبنيَّةً على التواصل والربط بين الأحداث والحقائق أو الافتراضات، ومن أنواع الترابط بين الأحكام والآراء الاتصال التتابعي والتواجدي، الذي يتحقق بفضل **رو ابط التتابع** التي تعمل على إنشاء اتصال يكون بين ظاهرة ما و نتائجها أو أسبابها(صولة ،1998 ص332) ، وتنقسم إلى **حجة سببية** تنجز حِجَاجٍا يهدف إلى الربط بين حدثين متتابعين من خلال رابط سببي، وحِجَاجٍا يهدف إلى التخلص من حدث ما حصل بسَبَبٍ أدَّى إليه، وحِجَاجٍا يهدف إلى التكهن بما سيُنجَزُ من نتائج عند وقوع حدث ما، فيمر الرابط السببي في اتجاهين؛ من السبب إلى النتيجة، ومن النتيجة إلى السبب، ومن الأمثلة على ذلك الملفوظ: "يقول علم الاجتماع إننا إذا أردنا أن نعلل ظاهرة اجتماعية فعلينا أن ندرس المجتمع الذي نشأت فيه؛ إذ لا بد أن نجد في ذلك المجتمع السَّبَبَ الخفيَّ الذي أدَّى إلى ظهور تلك الظاهرة على

وجه من الوجوه، وبناءً على هذا أستطيع أن أقول بأن من الممكن أن نفهم سبب تلك القيود اللفظية التي ابتُليَ بها الشعر العربي إذا رجعنا إلى المجتمع الجاهلي فدرسناه دراسة موضوعية؛ وذلك لأن الشعر العربي نشأ وترعرع، وربما اكتمل نموه في هذا المجتمع"(الوردي،2000، ص91)، حيث ظهر التعليل وبيان السبب، ويدعم ذلك فاعلية الحُجَّةِ السببية في متن خطاب مقالاته، وقد وظَّفَ التعليلَ في بيان ما يذهب إليه من وجهات نظر يريد أن يقنع بها ، ويُلاحَظُ أنَّ الحُجَجَ السببيَّةَ تترابط فيما بينها ،وتتعاضد عند إقناع المتلقي، ويدل ذلك على قوة الطرح ، وبذل الجهد في بناء الحجاج. وأما **الحُجَّةُ الغائيّة** فهي وسيلة حِجَاجية تؤثر بشكل مباشر في توجيه موقف المتلقي وسلوكه؛ لأنَّها في الأساس مبنية على الهدف والغاية، ويدل ذلك على أن هذه الحجية لا تعبر عن التعليل بقولنا بسبب كذا، وإنما جاءت لكي تُعبِّرَ عن التعليل بقولنا من أجل كذا، فهي تقوم على تثمين الحدث من خلال ذكر نتائجه التي يسعى الكاتب إلى الإبانة عنها، وغاياته ومقاصده التي يريد إقناع الآخرين بها ، فالحُجَّةُ الغائيَّةُ لم تكن وسيلةَ تثمينٍ فحسب، وإنما هي وسيلةٌ لتوجيه العمل(صولة ، ص333).و يتَّضِحُ أن الوردي وظف هذه الحُجَّةَ لقوَّتها في بناء الحِجَاج، ومن أمثلة ذلك قوله: "فالمعروف عن الشاعر البدوي أنه لسان القبيلة والمدافع عن أعراضها، والظاهر أن الشجاعة لا تكفي وحدها في حياة الصحراء، **فلا بد أن يكون في كل قبيلة من يدافع عنها بلسانه كما يدافع الفارس عنها بسيفه**"(الوردي،2000،ص92).

وظَّفت الحجة الغائيَّة لبيان وظيفة الشاعر الدفاعية عن القبيلة ،فشبَّهه بالفارس الذي يحمل سيفًا، فالهدف هو الدفاعُ والحمايةُ لتعزيز وجود القبيلة، وينقل الوردي من خلال الحجة الغائيّة وجهة نظره تجاه قضية الشعر والشعراء، مجاهد لإقناع المحاور، بما يطرح من من مواقف. ولعل من بين الحجج المهم أيضا ما يعرف بـ**حُجَّةُ التجاوز**؛وهي نوع من الحجج النافذة نظرًا لتجاوزها الغاية، ونفاذها إلى ما لا حد له؛ من قبيل التعميم المفتوح، وقد وظفت في قوله: "فالمجتمع العراقي كان في القرن الماضي من أكثر الأقطار العربية تمسكًا بالقيم البدوية والعصبية القبلية، ولا يزال يذكر المُعمِّرون مِنَّا كيف كانت المدن العراقية تتبع نظام القبائل في حياتها الاجتماعية، وكثيرًا ما كانت أحياؤها تتقاتل فيما بينها على منوال ما تتقاتل القبائل في الصحراء، وكان لكل حيٍّ فيها شيخٌ يقود الناس في القتال، ويمثلهم في شؤون الديات والمغارم"(الوردي،2000، ص102)،حيث يتضح توظيف حُجَّةَ التجاوز في بيان طبيعة المجتمع العراقي، وما يتمسك به من قيم وعادات وتقاليد في حياته الاجتماعية، وبرزت حُجَّةُ التجاوز في تعميمِهِ الذي بيَّنَ فيه أن لكل حيٍّ شيخًا يُديرُه ويمثلُه، فهذا تعميم مفتوح أمام المتلقي لكي يتفاعل مع طبيعة المسؤولية الاجتماعية وآثارها في حياة الفرد والجماعة، فعزَّزت حُجَّةُ التجاوز بنيةَ الخطاب الحِجَاجي في ، وما تشتمل عليه من أفكار تسهم في بيان ما يريد أن يُعبِّرَ عنه.

ج- رو ابط التعايش (الاتصال التواجدي)

تعكس هذه الروابط **حُجَّةُ الفرد وأعماله**؛ حيث يمثل الفردُ مجموعةً معلومةً من الأعمال التي يقوم بها ويقدمها، فيمثل ذلك العلاقة بين جوهر الفرد وأعماله التي هي في مجملها تجسيد للجوهر، وتقوم النية أو القصد بأداء عمل مهم، وتتجلى النية أو القصد فيما نمتلكه من آراء وأفكار مسبقة حول الفرد منتج العمل، فالاعتماد على النية أو القصد يعدُّ مناطَ الحِجَاج؛ بوصفِهِ يربط إنتاجات العمل بصاحبها، ويساعد في فهم إنتاجات أعماله، ويعرف هذا المفهوم في نظرية الحجاج بـ: التداخُلُ بين العمل والشخص(صولة، 1998 ،ص334). هذا و تقوم هذه الحُجَّةُ على التفاعل بين الفرد وما يقوم به من أفعال، والتركيز على ثبات الشخصية، فإن قامت بفعل محدد أو اتّخذت موقفًا محددا، ستعرف بخصال معلومة ، وستظل كذلك ما بقيت على قيد الحياة(الدريدي، ص229). وقد وظَّف الوردي هذه الحُجَّةِ في مقالاته في مثل

قولِه: "يقول الدكتور محي الدين: "إنَّ أغراض الشعر العربي وموضوعاته انحدر غالبها من عهود الجاهلية، وعادت هذه الموضوعات تقليدًا شعريًّا يختبر فيها الشاعر مدى قدرته على طرقها والإجادة فيها".

إنَّ هذا القول صحيحٌ إلى حَدٍّ ما، فلا شك أن معاني الجاهلية أصبحت لدى الشعراء المتأخرين تقاليدَ يُؤخَذُ بها دون عناية بما طرأ على المجتمع من تبدُّلٍ كبير، ولكني أسأل الدكتور: لماذا صارت معاني الجاهلية تقاليدَ لدى الشعراء؟ أليس هناك سببٌ اجتماعيٌّ يختفي وراء ذلك؟ في رأيي أنَّ من أسباب هذه الظاهرة هو احتفاظ المجتمع العربي بكثير من قيم البداوة بالرغم من تحضُّرِه، وقد حفَّزَ هذا الشعراءَ على التغني بمعاني الجاهلية، مع أنهم لم يشهدوا حياة البادية أو يعيشوا فيها"(الوردي، 2000،ص101).

استعمل الوردي **حجة الفرد** وأعماله عندما استعرض قول الدكتور محي الدين، وذكر رأيه معقبًا عليه، ويبيّن ذلك معالم الشخصية وأفعالها، مبرزا طبيعة وجهة النظر والموقف من القضية المعروضة للنقاش في خطاب المقالات، ويسهل ذلك على المتلقي فهم رسالة نصوص الخطاب ، وإدراك مقاصدها.

عندما يكون عملنا تصديقًا لكلامنا، فإن مبدأ الصدق سيكون دافعا لقيام التعاون الحواري بين الطرفين، فإذا أحس المتلقي بمبدأ التعاون تواصل معنا؛ لأنه لا يعقِلُ منَّا كلامَنا فحسب، بل يُراقِبُ سلوكنا، فإذا ما شعر بأن حقوقه مقدَّمةٌ على حقوقنا وفق مبدأ الإخلاص تجرَّدَ من أسباب الصراع والنزاع، وأسفر ذلك عن تحاوُرٍ صادِقٍ، ويكون الشعار التنافس في التخلق، ويتمازج مع هذه الحُجَّة في المنهج والفكر والسلوك. ويلحق بها الصنف ما يعرف بـ **الحجاج بالمصداقية** كحُجَّةَ السُّلطة، التي تستمد قوتها الإنجازية من نفوذ المتكلم وسلطته المادية و المعنوية، وتتجلى السُّلطةُ بقوة الأشخاص كالأنبياء والعلماء و القادة، أو تكون قوة دينية تتمثل في المعتقدات والكتب المقدسة(صولة، 1998 ، ص335)، بشرط أن تكون السُلطةُ مُعترفًا بها عند جمهور المتلقين، فلا توجد فعالية ذات جدوى لممارسات سُلطةٍ ما دام الجمهور غيرَ مقتنع بها.و تتمثل الحُجَّةُ بالمصداقية في قدرة المحاجج على التزامه بالصدق في مقصده، والإيمان بالنتائج التي يسعى إلى تحقيقها في المتلقين. وقد ظهرت الحُجَّةُ في حديث الوردي عن تجربته بطريقة مباشرة، مما يُبيّنُ التزامه فيما يقصد، فنجده يقول: "كنتُ قد دعوت في مقالاتي السابقة إلى تيسير لغة الكتابة، وإلى تجريدها من الزخرفة والحذلقة اللتين اتَّصَفَ بها الأدب العربي القديم، فنحن الآن نكتب للجمهور لا للطبقة الخاصة، والحياة الجديدة تقضي علينا أن نغيّر من أسلوب لغتنا كما غيّرنا من أسلوب مساكِننا وملابسنا وغيرها"(الوردي،2000 ، ص57).

يستعرض المحاجج الحُجَّةَ بالمصداقية في حديثه عن مواقف حصلت معه ودعوات وُجِّهَت إليه، فانتقل من التجربة الذاتية الصادقة إلى المطالب الكلية التي تنقل انطباع الجمهور، فاستعمال بنية حِجَاجية تمثل الحس الجماعي، وظهر ذلك في استعماله لكلمة (نحن، الجمهور، علينا، نغير، لغتنا، غيّرنا، مساكنا، ملابسنا)، فتخدم هذه الكلماتُ الحُجَّةَ بالمصداقية فيما يُعبِّرُ عنه الوردي تجاه اللغة نفسها والأسلوب المستعمل في مخاطبة المتلقين وتقريب الفهم لهم، ولم يقتصر الأمرُ على الخواص من الناس لكي يفهموا ما يريد إيصاله من مقاصد وما يسعى إلى تحقيقه من غايات في خطاب مقالاته. كما أن للحياة الجديدة سلطتها الناجزة على الناس، توجه سبل مأكلهم ومشربهم وتعلمهم و ثقافتهم وتفكيرهم ، فلها أيضا أن توجه طريقة تعبيرهم وكتابتهم عامة كانوا أو خاصة.

إنَّ التزام الورديّ بما يطلقه من كلام، وصدقه فيما يُصرِّحُ به حِجَاجٍ ذو قوة إنجازية يساعد على تسليم المتلقي بما يعرض؛ لأنَّ الحجة التي تتسم بالصدق تجسِّدُ شخصية قائلها، فإذا علم المتلقي أن الخطاب يصدر من قلب كاذب،

وضمير مخادع لا يعيره أي اهتمام، بل يكون ذلك أدعى للنفورِ مِمَّا يريد المتكلم إقناع السامعين به، والانصراف عنه إلى ما يراه أفضل، وبذلك فإن الصدق في القول، ومطابقة الظاهر للباطن أساسٌ مهمٌّ من أسس الإقناع"(بلعلى ،2003، ص225). وقد برزت هذه الحجة في مقالات الوردي على صيغ مختلفة تتمثل في قوله: (ذكرنا، نرى، فصلنا، قضيتنا) وغيرها، ويتضح أن النون دالة على الحس الجماعي، والمشاركة بين الوردي وجمهور المخاطبين، ويدل ذلك على وجود علاقة أفقية لا تسلُّطَ فيها، تسمح للمخاطَب بحرية القبول أو الرفض بينهما، وقرار الاستجابة أو التمنع، ويمثل ذلك رأس التواصل والتحاور، كما يُعَدُّ ذلك من الأسس المُسلِّمِ بها في عملية الحِجَاج والإقناع، وفي عملية التخاطب والحوار العادي فإنَّ المتكلم إذا كان على علاقة ألفة بمن يحاورهم(الدريدي،2007 ، ص132)، فإنَّ ذلك أدعى للإقناع والتأثير في سلوكهم.

يشير كل ذلك إلى أن الورديَّ يجتهد في إقناع جمهور المتلقين من خلال الإقناع الذاتي القائم على الحجة والدليل والبرهان في إطار حوار هادف وعميق، كما يتعاون معهم في بناء معرفة مشتركة تقوم على الرؤية المشتركة المستمدة من المعرفة بالعالم، ويلتزم بأساليب معينةٍ لتحقيق الإقناع فيصبح التحاور فعلًا استشاريًّا لا استبداديًّا.

ج. الحُجَجُ المؤسِّسةُ لبنية الو اقع

تحتوي على القياس بأنواعه، وتُؤسِّسُ للواقع من خلال الحالات الخاصة، وقد وظَّفَ الورديُّ ذلك من خلال ما يأتي **القياس** الذي بدا جليا في نصوص المقالات، ومن ذلك ما يعرف **بالقياس المنطقي متكامل الأركان**، حيث يمثل القياسُ المنطقيُّ للحِجَاج بنيةً رئيسةً في كل خطاب مُنجَز، ولا يمكن أن يكون هناك نصٌّ إقناعيٌّ من غيرِ قياس منطقي؛ لأنَّ لذلك تأثيرا عميقا في تنبيه الفكر، وتقريب الفهم وتحقيقه؛ لوجود ترابط دلالي بين المقدمات من أجل الوصول إلى نتائج. وبنيةُ المقال في حَدِّ ذاتها هي بنية حِجَاجية؛ لأنَّها تتكون من مقدمة هي بمثابة المقدمة الكبرى في القضية ومتن بمثابة المقدمة الصغرى لها، وخاتمة بمثابة النتيجة لها ، ومن أمثلة ذلك هذا الملفوظ : "إن كتب البلاغة القديمة لم تنفع الناس بالأمس، وهي كذلك لا تنفعهم اليوم، والأدب العربي الحديث لم يتطور من جراء التعاليم المحفوظة في تلك الكتب، إنما هو يجري في الطريق الذي يمهده أولئك الأعلام من المجدَّدين، إذ هم يخرقون بضرباتهم المبدعة حجب التقاليد، حتى إذا نجحوا سار الناس وراءهم من حيثُ يريدون أو لا يريدون"(الوردي ، 2000،ص59).

يمكن إيضاح **القياس المنطقي** في القضية الآتية: 1-المقدمة الكبرى ممثلة في: مكانة الكتب القديمة في الحركة الأدبية الجديدة.2-المقدمة الصغرى ممثلة في: عدم الإفادة من الكتب القديمة.3-الحكم ممثلا في: ضرورة التجديد وخرق حجب التقاليد ؛ أما **القياس المتدرج** فهو قياسٌ يكون فيه القولُ اللاحِقُ مبنيًّا على القول السابق حتى نهاية القياس المتدرج ووصوله إلى نتيجة، ومثاله المحتوى القضوي الآتي: "يبدو أن الرأي الذي جاء به الدكتور محيي الدين قبل سنتين يناقض الرأي الذي جاء به في مقاله الأخير المنشور في جريدة البلاد، فلقد كان بالأمس يندد بالجامدين الذين يحاولون إبقاء القديم على قدمه في الأمور الاجتماعية، وهو اليوم يدافع عن الأدب العربي القديم ويتعصب له، تُرى هل بدَّلَ الدكتور رأيه خلال سنتين؟ أم أنه يعتبر رأيه الأول صحيحًا في الأمور الاجتماعية وحدها، ولا يصح في الأمور الأدبية؟"(الوردي ، ص56)،حيث يتشكل القياس المتدرج من القضايا المتدرجة الآتية :1-مقال لاحق منشور في مجلة البلاد يحمل منشورًا مناقضًا لمقال سابق عليه.و2- تقييد القديم في الأمور الاجتماعية، والدعوة إلى التجديد. و3-الدفاع عن الأدب القديم والتعصب له،4-تغير الآراء وتبدلها،5-اعتبار الأمور الاجتماعية أو الأمور الأدبية. و يُلاحظ استعمال القياس

المتدرج في استعراض مقال لاحق، وربطه بمقال سابق، ومن ناحية أخرى حصر القديم في الأمور الاجتماعية والتجديد في الأمور الأدبية، ثم يتوسع القياس المتدرج في الحديث عن الدفاع على الأدب القديم والتعصب له، مع التنبيه على تغير الآراء وتبدلها، واصدار الحكم (صحيحًا) و(لا يصح)، ويدعم القياس المتدرج الوصول إلى نتيجة في ضوء بنية حِجَاجية متفاعلة .

2-تأسيس الو اقع بواسطة الحالات الخاصة:

يكون الاستدلال -أحيانا- بحجج يبنى عليها الواقع من خلال الحالات الخاصة، حيث يُعمد الى الاحتجاج بشخصية أو نبي أو عالم وغير ذلك، كما أن الحالات الخاصة تتمثل في الحالة الدينية التي يعكسها الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ومن أهم **الحجج الخاصة** ما يعرف بحجة النموذج، **والنموذج** مثال يُحتذى به، يمثل قدوة صالحة يستعين بها المحاجج؛ لكي يؤكد ما يسعى إلى تثبيته من قيم وسلوكات إيجابية، وهي حجة لها قوة تأثيرية في توجيه السلوك؛ منبنية في جوهرها على الواقع ، بل هي تؤسس واقعًا جديدًا مخصوصًا، يستمد مشروعيته من نموذج صالح على صعيد السلوك، لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنما يصلح ذلك للحث على عملٍ مَّا اقتداءً به ومحاكاةً له ونسجًا على منواله(صولة ،1998، ص 338) و(الدريدي،2008،ص83)، وعند الحديث عن الحِجَاج بالأنموذج تنبغي الإشارة إلى صنفين (الدريدي ،2007، ص62)؛ أحدهما **حقيقي** يتم استدعاؤه بهدف الحِجَاج؛ أي من أجل الإقناع والاستدلال. والآخر **غير حقيقي** يبنيه المتكلم، ويبتكره في متن نصه من خلال اللغة، فيكون شخصية اعتبارية.

يتّضح مما سلف أن هناك نوعًا حقيقيًّا يصلح لإحداث تغيرات في الواقع، وآخر ليس بحقيقيٍّ يقوم بابتكاره المتكلم من خلال تركيب بعض صفاته وملامحه؛ لكي يمتلك قدرًا كافيًا من الهيبة بحسب تعبير **بريلمان**(الدريدي، 2008 ،245)، وذلك من خلال المبالغة والغلو في الوصف، مع تغيير كل وصف سيء ليكون أهلًا للتوجيه والقيادة. ولعل من الحجج المبنية على الأنموذج ما ورد في قوله: "على طلاب الأدب أن يفهموا أن الأدب هو كأي فن من فنون الحياة، يحتاج إلى الموهبة أولًا، وإلى الاطلاع ثانيًا، وإلى المثابرة ثالثًا، هذا هو الطريق الذي سار فيه **الأدباء الخالدون**، وليس هناك طريق آخر سواه، أمَّا تعلم القواعد والعلوم اللغوية العتيقة، فلا فائدة منها لطالب الأدب، ولعلها تضره وتفسد موهبته. ومن يريد أن يكون أديبًا بمجرد قراءة العلوم العتيقة هو كمن يريد أن يكون طبيبًا بقراءة كتب **جالينوس والرازي وابن سينا**، ولا بد أن يكون مصيره كمصير من يتحدث عن البلغم والصفراء في عصر البنسلين(الوردي،2000، ص69).

لقد وُظفَّ الأنموذج في الملفوظ السالف باستحضار أنموذج **الأدباء الخالدين** وأنموذج **جالينوس والرازي وابن سينا**، الأمر الذي أدى إلى تعزيز القوة الإنجازية للفعل التبييني(الإيضاحيات) ، وفي موضع آخر يستشهد بقول أحد أعلام النقد و الشعر، وهو ما يمكن عده من حجاج الخبير الذي يحمل الاستشهاد أو الاقتباس من أقوله قيمة رمزية لها وقعها في نفس الجمهور، يقول الوردي: «يقول **ابن رشيق القيرواني** في كتاب "**العمدة**": فإذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حمايةٌ لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وتخليدٌ لمآثرهم، وإشادةٌ بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تُنتج»(الوردي، ص93).

ساعدت النماذج الموظفة في تحقيق تفاعلات نصية إيجابية مع الموضوع المطروح ، ويظهر جليًّا أن الورديَّ قد وظَّفَ في مقالاته أنموذجًا حقيقي غير مصطنع، يكون قادرًا على التأثير فعلًا، وليس أنموذجًا غير حقيقي يمكن التشكيك في

كفايته المرجعية.ومن الحجج الخاصة أيضا **الشاهد** الذي تدعم به نجاعة القضية، وكلما كان الشاهد أصيلا أدى ذلك إلى بيان الدلالة، وتحقق القصد من القول، ويتمثل الشاهد في القرآن والحديث النبوي بالنسبة إلى عموم المسلمين ونصوص الكتب المقدسة بالنسبة إلى غيرهم، وسائل كلام العرب المنظوم والمنثور، فضلا عن أقوال الحكماء و القادة و أصحاب الخبرة ورؤوس المذاهب وغيرهم ، وما يصلح من أقوال لكي يُستشهد به على رأي أو قضية ما.

يقوي الشاهد درجة التصديق بقاعدة ما معلومة، وذلك بتقديم حالات خاصة توضح ذات الطابع العام، فتعزز حضور القول في الذهن، وعلى ذلك فالاستشهاد يؤتى به للتوضيح، ويُذكَرُ الشاهد عن قصدٍ لتقوية حضور الحُجَّة، وقصدِ جعلِ القاعدة المجردة حسيَّةً وملموسة(صولة،1998 ، ص337)، و مما يُلاحظ أن الوردي استحضر في نصوصه الشواهد الكثيرة؛ نظرًا لقوتها الإقناعية المستمدة ممن لهم سلطة على النفوس، وسطوة على العقول(الدريدي،2008،ص159) ، فوظَّف الشاهد القرآني عبر التناص، وذلك في نحو قوله: "إنهم يذكروني بأمر ذلك الصياد الذي اشترك مع زميل له ضعيف في صيد أرنب وغزال، فقال له يقاسمه: "إذا أردت الأرنب فخذ الأرنب، وإذا أردت الغزال فخذ الأرنب"، وتلك إذن قسمة ضيزى!"(الوردي،ص55)،فهذا النوع التعبير يتناص عن طريق التضمين مع قوله تعالى:﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى _ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (النجم: 21،22)،وهذه الصورة الموحية بدلالة اللاعدل وعدم التكافؤ تستقطر قوتها من قوة الاستشهاد بالآية ذاتها ، وكأن القسمة المنصوص عليها قرآنيا هي ذاتها المعبر عنها في أطروحة الكاتب.

الخاتمة

لقد أفضت القراءة النصية للنماذج المختارة إلى استخلاص جملة من النتائج المعبرة عن خطة القول الحجاجي، وسلطة الحجة المركبة بين الشاهد التاريخي و حجة الواقع المادي و مفارقاته، ولعل أبرز هذه النتائج التي يمكن إيرادها :

1- ما تعلق بـ:**حُجَّةُ الشاهد** التي تمنح قوةً سُلطويَّةً للخطاب المعين خصوصا إذا استدعى القرآن دليلا نصيا.

2-من نماذج توظيف الشاهد قول الكاتب: "إنَّ الأدبَ الحيَّ الذي يبقى على مر الأيام لا يعرف علم المعاني أو علم البيان أو علم البلاغة، ولا يفهم القواعد العويصة التي يصطنعها العاجزون المتحذلقون، مصدر روعة الأدب وخلوده أنه يُلاقي صدًى في نفوس الناس، ويضرب على الأوتار الحساسة من قلوبهم، إنه كما قلنا انبثاق من أعماق النفس، والذي يخرج من القلب ويدخل إلى القلب كما قيل في المثل القديم"(الوردي،2000،ص66)، فقد وظَّف حكمة من حكم العرب التي تعبر عن خلاصة التجربة، وهي: "**ما يخرج من القلب يصل إلى القلب، وما يخرج من اللسان لا يتعدى الآذان**"، وقد عزَّز ذلك من قوة الملفوظ الحِجَاجية، ودعم سمات الشعرية في خطاب المقالات ،كما وظَّف الشاهد الشعري ، من أمثلته بيت لـ: الشاعر البدوي:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ.... فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللحمِ والدَّمِ

ومعنى هذا أن الإنسان في الصحراء له براعتان هما: شجاعة الفؤاد وفصاحة اللسان، فإذا عجز عنهما لم يبقَ فيه سوى حثالة من بدنٍ خسيسٍ لا يساوي شيئًا. والمعروف عن القبيلة في أيام الجاهلية أنها كانت تحتفلُ بنبوغ الشاعر على منوال ما تحتفل بنبوغ الفارس الشجاع"(الوردي،2000،ص92).

3-إنَّ استحضار الشاهد الشعري في سياق عرض الحجج ضمن سلمية تراتبية ،يعزز رأي الكاتب، وموقفه، ناهيك عما يلحق بالتعبير من سمات الشعرية التي ستميز القول المقالي ، وتحقق له أدبيته بالرغم من انخراطه في سياسة التأثير بالقول و الاحتجاج به وله ، وهو البعد الذي سيحقق للخطاب ذاته سلطته التوجيهيَّة والتشريعيَّة والتنظيميَّة المؤثِّرة(بوقرة ،ص14).

4-وظَّف المحاجج في مقالاتِهِ الآلياتِ اللغويَّةَ والمنطقيَّةَ وشِبْهَ المنطقيَّة؛ من أجل إقناع جمهور المتلقين والتأثير فيهم.كما رتَّبُ الحُجَجَ الواردةَ في نصوص مقالاته وفق سُلَّمٍ حِجَاجيٍّ مبنيٍّ على قوة الحُجَّةِ المعروضة وضعفِها.

5-تعدَّدت روابط الحِجَاجِ في بنية الخطاب النثري ،فوظَّفَ الواوَ، والفاءَ، ولكنْ، وبلْ، ولامُ التعليل، ولأنَّ، وغيرَها من الأدوات الفاعلة في ربط الحُجَجِ بعضِها ببعضٍ؛ للتأثير في المتلقي والإسهام في إذعانه وتسليمِهِ بما يقال ويعرض من آراء وأطروحات.

6- يمتاز حجاج الوردي بنزعته السَّاخرة في نقد آراء الطرف الآخر، وهذا النوع من الحجاج بالوجه من أخطر أدوات الحجاج المغالط ،لأنه ينصرف في الحقيقة من جوهر القضية إلى من يمثلها، فيعتمد التهكم أداة للتلويح الحواري (يان هوانغ ، 2020 ، 371-372)،وقاعدة لخرق مبدأ التأدب(الوجه)(براون ولفنسن ، 2023،ص156-476)، وربما كانت الغاية من ذلك الرغبة في تعزيز الفهم، والإقناع، والإصلاح، من أجل الخلاص من المثالب والعيوب الثقافية المتراكمة، لتغيير الواقع والحال إلى وضع جديد يكون أفضلَ من سابقه.

قائمة مراجع البحث

أزابيط ،بنعيسي (2012)، البعد التداولي في الحِجَاج اللساني، ضمن :الحِجَاج مفهومه ومجالاته، الأردن: عالم الكتب الحديث .

الباهي، حسن (2004)، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ط1،دار إفريقيا الشرق، المغرب.

براكوبس ، مارتين (2022) مدخل إلى التداولية ، النظريات المؤسسة ، أفعال الكلام و التداولية المعرفية و التداولية المدمجة ، ترجمة عي يوسف أسعد ، ط1 ، دار صفحة 7 ، السعودية .

براون ، بنيلوبي ،و لفنسن ، ستيفن(2023) ، نظرية التأدب (Politeness) ، ترجمة وتقديم هشام إبراهيم عبد الله الخليفة ،ط1 ، كنوز المعرفة ، الأردن .

بلخير ،عمر (2009)، الخطاب الصحفي في الجزائر المكتوب – دراسة تداولية،ط1، دار الحكمة، الجزائر

بوقرة ،نعمان(2015) الخطاب والنظرية والإجراء،ط1، دار جامعة الملك سعود للنشر ،الرياض .

الجرجاني ،عبدالقاهر(2001)،أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمود شاكر، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت.

الجرجاني، علي(1966) ،الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، (د.ط)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

الدريدي ،سامية (2007)، الحِجَاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، ط1، عالم الكتب الحديث ، الأردن.

..... (2009)، دراسات في الحِجَاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن.

السيوطي ،جلال الدين(1974)،الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

شارودو ،باتريك. (2009). الحِجَاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت .

الشهري، عبد الهادي(2004) ،إستراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية،ط1،

الصعيدي ،عبدالمتعال (2005)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، مكتبة الآداب ،القاهرة.

صولة، عبدالله (2001)، الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1،دار الفارابي ،بيروت.

العبد، محمد(د ت) ،النص الحِجَاجي العربي- دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب الحِجَاج مفهومه ومجالاته.

العزاوي، أبو بكر. (2009). اللغة والحِجَاج، ط1،مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان.

..... (2007). الخطاب والحِجَاج، ط1، الأحمدية للنشر، المغرب.

عشير ،عبدالسلام (2007). عندما نتواصل نغير- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجَاج، دار إفريقيا الشرق، المغرب.

علوي ،حافظ إسماعيلي (2013). الحِجَاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، ط1، دار الروافد الثقافية. بيروت.

..... (2010). الحِجَاج مفهومه ومجالاته، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن.

عليوي ،أبا سيدي. (2014). الحِجَاج والتفكير النقدي- مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية، ط1،دار نشر المعرفة، الرباط .

فروم، هشام (2009)، تجليات الحِجَاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع- الأربعون النووية أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.

الناجح ،عز الدين (2015)، تداولية الضمني والحِجَاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب، مركز النشر الجامعي ،تونس

هوانغ ، يان (2020) معجم أكسفورد للتداولية ، ترجمة هشام إبراهيم الخليفة ، ط1 ، الكتاب الجديد ، بيروت.
لونجي ،جوليان ،و سرفاتي ،جورج إليا ،(2020) قاموس التداولية ، ترجمة لطفي السيد منصور ، ط1 ، دار الرافدين .
Ducrot, Oswald, Schaeffer(1972-1995), Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, ed Seuil.
Charaudeau, Patrick ,Maingueneau, Dominique ,Dictionnaire d analyse du discours ,ed du Seuil ,Paris.

Moeschler ,Jaques (1996) Argumentation et conversation , élément pour une analyse pragmatique du discours, serie langues et apprentissage des langues.